http://www.almadapaper.com - E-mail: almada@almadapaper.com ◆ العدد (2071) السنة الثامنة - الأربعاء (16) آذار 2011

حلبجة مدينة لا تشبه بقية المدن لا في العراق ولا حتى في كل دول العالم، هذه المدينة الكردية الشامخة بين سهول اقليم كردستان، والتي تبعد بمسافة عشرة اميال عن العاصمة بغداد، لايمكن ان تغادرها الذاكرة لحجم المأساة التي تعرضت لها عندما اقدم النظام السابق بتاريخ ١٩٨٨/٣/١٦ على توجيه ضربات موجعة بغاز الخردل وبأسلحة ممنوعة دوليا لتتناثر اشلاء نسائها واطفالها كالزهور البيضاء في فصل الربيع، لم يبق من المدينة الا ترابها الملوث وعدد من الناجين باعجوبة ليتحدثوا عن حجم الجريمة المروعة. ذووالشهداء في حلبجة جعلوا من ذكراها السنوية مناسبة للتحدي، بحملات بناء واسعة لاعادة الحياة الى اوصال مدينة حاول اعداء الحياة والانسانية سلبها منهم.

سها الشيخلي

في الذكرى الثالثة والعشرين لقصفها بالأسلحة الكيمياوية

حلبجة.. مدينة تنهض من بين الدمار وتستعيد بهجتها

مواطنو كردستان وخاصة اهالي حلبجة اعتادوا استذكار يوم الجريمة التي ادمت القلوب على المرور على نصبها التذكاري المتكون من قسمين، الأول مقبرة تتألف من ١١٠٠ شاهد قبر يرمز الى ضحايا الكارثة، اما الاخر فيتكون من المقابر الجماعية التي تحتضن عدداً كبيراً من الضحايا. اليوم واذ تمر الذكرى الثالثة والعشرون للفاجعة، تبدو حلبجة اكثر اصراراً على بناء مستقبلها لتكون شاهداً بارزاً على اصرار شعب قاوم الطغاة وجلاديه فانتصر بايمانه رغم كل الجرائم التي تعرض لها.. حلبجة في هذا اليوم تفتح ذراعيها بمحبة لكل انصار السلام والحرية لتحكي لهم قصة مدينة احرقت ارضها وابيد سكانها واريد ان تمحى من الوجود، لكنها كانت عصية على أعدائها، فعادت لتلعن كل المجرمين اعداء الانسانية.. مدينة ضمدت جروحها وتطلعت بتفاؤل للمستقبل.. فما قصة هذه المدينة الكردية الآمنة التي روعها اصوات هدير المجنزرات ودوي المدافع وازيز الطائرات السمتية قبل اكثر من عشرين عاما، وهل كانت هذه المسافة الزمنية كافية لتغيير كل شيء في خارطة المدينة الآمنة؟

استخدام غاز الخردل

يحدثنا اولاً المواطن الكردي ابو شيرين البالغ من العمر ٧٠ سنة صاحب شركة اهلية و الذي نجا من المجزرة، حيث كان في مستشفى اربيل لاجراء عملية فيقول بحسرة: قصة مدينتي لاتشبه القصص الاخرى، لما فيها من وحشية مارسها بحقها المجرمون. وتبدأ القصة عندما تعرضت مدينة حلبجة والمنطقة المحيطة بها الى هجوم من قبل وحدات الجيش العراقي و بلا رحمة مستخدمة القنابل ونيران المدافع والاسلحة الكيمياوية، فتم تدمير البلدة بالكامل.. ومات نتيجة ذلك الهجوم المروع الآلاف من النساء والرجال والأطفال الذين يناهز عددهم الخمسة الاف في البداية، ونفقت الحيوانات ومات الزرع ايضا، واستمر الهجوم ثلاثة ايام بدون رحمة، ما أدى إلى ارتفاع عدد القتلى الى ١٢ الف شخص، كما خلف الاف المعاقين من كلا الجنسين،والحق الدمار بما لا يقل عن ٢٤ قرية كردية كانت الى وقت قريب آمنة. واضاف لقد استخدم المجرمون كل ما هو محرم دولياً كغاز الخردل وغاز الاعصاب والسلاح الكيمياوي السيانيد ضمن الحملة سيئة الصيت التي اطلق عليها (حملة الأنفال).و قام المجرم علي حسن المجيد بقيادة حملة ابادة الكرد، وكان يتباهى بانتصاراته الوهمية على اشخاص عزل اثناء الحرب العراقية الايرانية..اما الاسلحة التي استخدمت فقد تم الحصول عليها من شركات امريكية وبريطانية وفرنسية والمانية وصينية لذا فان هذه الشركات شركاء في هذه الجريمة..

ويؤكد ابو شيرين ان معهد ستوكهولم لابحاث السلام الدولي قد اورد تقريرا مفاده ان استيراد العراق للاسلحة ما بين عامي ١٩٧٣ و٢٠٠٢ توزع احصائيا وفق النسب التالية: ٥٧٪ من روسيا الاتحاد السوفياتي السابق، ١٣٪ من فرنسا، ١٢٪ من الصين، ١٪ من امريكا واقل من ١٪ من بريطانيا

إشاعات بهدف ضرب الكرد

ويقول: نجوت من الكارثة لانني كنت في مستشفى أربيل لإجراء عملية الزائدة الدودية في تلك الفترة وكانت تتسرب الينا الاخبار المفزعة التي تشير ان القوات الايرانية قد دخلت مدينة حلبجة، وانها بصدد الاستيلاء عليها وضمها الى الاراضي الإيرانية، ما أحزننا كثيرا، كما تناقلت الاخباران قرى عديدة سيتم الاستيلاء عليها من قبل القوات الايرانية، وقد خالطت تلك الاخبار الكثير من الاشاعات المغرضة التي كان ورائها ازلام النظام السابق، لايجاد مبررا وغطاء لضرب الكرد الذين اطلقت عليهم الحكومة انذاك صفة (العصاة)، والذين كانوا يشكلون مصدر ازعاج للحكومة السابقة، ورغم وجود القلة من الضباط الكرد في القوات الخاصة الا ان اغلبيتهم كانوا مستائين اشد الاستياء من تلك الاحداث غير ان الخوف من بطش الحزب وقادته كان كافيا لان يلزم الجميع الصمت.. ومع ذلك فقد هرب بعضهم وفضل الالتحاق بصفوف شعبه وكان بعضهم عرباً لكنهم أستاؤوا من وحشية النظام التي مارسها ضد العراقيين بدون استثناء.

وعن طريقة ووقت ضرب المدينة من قبل قوات النظام السابق قال ابو شيرين: حدثني احد الضباط الاصدقاء الذين شاركوا في الهجوم قائلا:

وردت الى وحدات الجيش الاوامر للتوجه الى منطقة حلبجة وفق خطوط عرض مرسومة على خارطة ورموز هي (الجفرة) المستعملة انذاك.. وعند اقتراب الجيش من مدينة حلبجة بصحبة المدفعية باشرت بقصفها بشدة لمدة ثلاثة ايام متوالية وبشكل لا يتصوره عقل انساني، ففر الاهالي الى القرى المجاورة والبعض غادر الى الاراضي الايرانية سيرا على الأقدام، مذعورين من حجم ما يتعرضون له من نيران ودخان يحمل السموم التي فتكت بالاطفال والنساء والشيوخ بدون رحمة.. وعدد قليل نجا باعجوبة وفر لينجو بحياته.

ويشير الى ان النظام السابق عمد الى اطلاق اشاعات بشأن الموضوع في محاولة للتهرب من مسؤوليته من هذه الجريمة التي يندى لها جبين الانسانية، غير ان الوثائق التي ظهرت بعد ٢٠٠٣ و جلسات محاكمة المجرم علي حسن المجيد وافادات الشهود اكدت ان الجيش هو الذي قام بضرب المدينة بايعاز من مسؤولي النظام المباد،الذي عمد بكل الوسائل الى محاولة قتل الثورة الكردية، فتوهم ان مثل هذه الجرائم لابادة الشعب الكردي قد تمنع تواصلنا مع طموحنا المشروع بحقوق بسيطة. المهم ان المجرم علي حسن المجيد قد حضر واصدر اوامره بضرب المدينة بالسلاح الكيمياوي، فامتثل البعض وعارض الاخر الذين كان مصيرهم الرمي بالرصاص في ارض المعركة..

صور من المعركة

وأثناء محاكمة المجرم علي حسن المجيد تحدث مواطنون عن الأهوال التي مرت على المدينة وعن حجم الدمار والخراب الذي حل بها حيث كانت الجثث تملأ الشوارع والأطفال يصرخون والأمهات يحملن الأطفال الرضع، حيث تحدثنا إحدى السيدات الناجيات من تلك المجزرة والتي التقيناها في إحدى مناطق بغداد عن تلك الصور فتقول:

-أخذنا نسير صوب الجبل مذعورين علّنا نصله لكي نحتمي بالكهوف من نيران الاسلحة الثقيلة والمدفعية ومن الجو الخانق والدخان الذي انتشر في المدينة بعد ضربها بغاز الخردل.. وكانت النساء الفارات من المدينة قد حملن الصغار على الاكتاف وقد ترك البعض من العوائل الاطفال الصغار والشيوخ والعجزة، في العراء لعدم تمكنهم من الركض والفرار من نيران المدفعية، وسار البعض صوب الحدود الايرانية في اول الامر ولم يذهبوا الى الجبال خوفاً من ملاحقة الجيش لهم.. وسرنا طويلا حتى اتعبنا السير، إضافة الى الجوع والعطش الذي اضعف مقاومتنا، ما اضطر البعض من العوائل الى ترك الاطفال في العراء وهم يصرخون (ماما لاتتركيني. اريد ان ابقى معك)، صور اقرب ما تكون الى يوم المحشر اذا صح التعبير لهول ما تعرضنا اليه من نيران وقنابل. اما المواطنة سليمة البالغة من العمر ٤٨ عاما فتقول:

-كان عمري ١٨ سنة عندما تعرضت مدينتي الحبيبة حلبجة الى القصف المدفعي، فاخذت والدتي وهربنا الى الجبال، وسرنا مسافة بعيدة وقد انهكنا السير وارعبنا ازيز الطائرات السمتية التي كانت تحلق قريبا منا لكي تخيفنا، وعندما مر رتل من الجيش في طريقه الى الحدود العراقية الايرانية، اختبأنا انا ووالدتي بين الصخور، الا ان اخر سيارة جيش (لوري) كان سائقها كرديا، فاشار لنا ان نتقدم و ان نصعد الى اللوري فقفزنا مرعوبتين واختفينا بين اكداس الاسلحة، وعندما وصلنا الى القرى الحدودية بعد عدة ساعات تم ايقاف الرتل، فجاءنا السائق وكنا قد وصلنا الى مسجد المدينة فقال لنا بلغة كردية، اذهبوا الى المسجد واختبؤا فيه، فنزلنا مسرعتين وقال لنا امام الجامع، هذا هو بيتكم ادخلوه امنين..

وتحدثت ألينا سيدة أخرى وهي تتذكر عمق اسى ذلك اليوم فقالت: هربت مع مجموعة من النساء و كنت احتضن احد اطفالي واضمه الى صدري وامسك باثنين اخرين من أولادي، أما والدهم فقد كان جنديا في الجيش.. وعندما حل الظلام.. اوقدنا نارا لكي لا تقترب منا الذئاب.. وتضيف كنا مجموعة من العوائل وكان معنا طفلا يبكي ألماً لان والده الذي يسير على ساق واحدة لم يستطع اللحاق بنا فسقط برصاص القوات العراقية.. وبعد مسيرة ثلاثة ايام وصلنا الى قرية ايرانية على الحدود وذهبنا الى مسجد تلك القرية وتكفلنا امام المسجد وقدم لنا الطعام وقال لنا انتم بين اهلكم ولا تخشون شيئا.. وبقينا فيها ثلاثة اشهر كنا نعمل ونتلقى (الصدقات) من اهل القرية ومن المسجد.. وبعد مضي تلك الفترة عدنا الى قريتنا فوجدناها ما تزال مخربة ووجدنا امتعتنا مسروقة، والدمار قد حل في كل ارجاء المدينة.. كما وجدنا بعض اشلاء السكان الذين حاولوا الاختباء من السلاح الكيمياوي والذين لجؤوا أثناء القصف إلى مخابئ تحت الأرض دون ان يدركوا ان العازات الكيميائية السامة كثافتها اعلى من الهواء فتسربت اليهم وقتلتهم.. لقد وجدنا جثثهم ما تزال في تلك المخابئ، كما ان هنالك اخرين حاولوا الفرار لكن سحب الابخرة السامة حاصرتهم. وتضيف لقد شاهد العالم صورا مؤلمة لجثث امهات واطفال رضع ملقاة وسط الطرقات.. ولا تزال اثار مذبحة حلبجة مستمرة حتى اليوم.. اذ يعاني الكثير من الناجين أمراضاً ناتجة عن تعرضهم للغازات السامة، وتنتشر بين هؤلاء متاعب صحية في الجهاز التنفسي وامراض العيون.. وتشير التقارير الطبية الصادرة عن المنظمات الدولية التي زارت المدينة، إلى أن معدلات الإصابة بالاورام السرطانية وتشوه المواليد لا تزال مرتفعة للغاية في حلبجة مقارنة بالمناطق الاخرى.. ويخشى من ان سكان البلدة قد اصيبوا بتشوهات جنينية ستبقى لعدة اجيال، لتكون شاهدا على همجية النظام السابق.

وعند تطبيق الحكم العادل بحق المجرم علي حسن المجيد (الإعدام شنقا حتى الموت) لبست مدينة حلبجة حلتها وزينتها واقيمت الاحتفالات والدبكات الكردية بهذه المناسبة التي كان ينتظرها جميع من فقد الاهل والأصدقاء وان كانت المدينة باسرها قد أبيدت مع قرى اخرى مجاورة بسبب طيش وحقد علي حسن المجيد.

وحشية النظام السابق

واكدت وزير البيئة سابقا والنائبة حاليا نرمين عثمان ان جريمة قصف مدينة حلبجة، لهي دليل قاطع لا يقبل الشك في أن النظام البعثي انما هو نظام شوفيني، وان ما ارتكبه بحق حلبجة وبقية القرى الكردية تأكيد على همجية النظام واستبداده وقسوته المتناهية اتجاه شعبه، وهو انتهاك لحقوق الانسان فقد كان المواطنون عزل كما انهم لم يقوموا باعمال من شانها ان تدفع النظام لضرب المدينة بالأسلحة المحرمة دوليا. وقالت في ذكرى قصف حلبجة تعود بنا الذاكرة الى كل تلك السنوات القاسية التي فقدنا فيها العديد من الشباب والاطفال والشيوخ، انها وصمة عار في جبين النظام السابق الذي ضرب شعبه بكل وحشية وقسوة.

العوق الدائمي

النائبة السابقة نازامين مندلاوي اشارت الى ان استذكار هذه المناسبة الاليمة، تجعلنا نشجب ونستنكر تلك المجزرة الوحشية والجريمة الشنعاء بحق اهلنا في إقليم كردستان، غير ان هذا وحده لايكفي لان المطلوب ان نعمل على كل ما يخفف عن الاشخاص الناجين من هذه الجريمة، كما ينبغي ان نبذل جهداً اكبر في مجال توثيقها كجريمة ضد الانسانية.

وتؤكد المندلاوي ان لديها اقارب واصدقاء في مدينة حلبجة يعانون الآن عاهات مستديمة منها العمى والصمم ومشاكل في الرئتين وضيق في التنفس، كما زادت حالات السرطان وخاصة سرطان الدم والاورام السرطانية الأخرى، ما جعل اهل المدينة يعيشون في حالات مرضية صعبة تستوجب مراعاتها بشكل افضل.

خرق لمبادئ حقوق الإنسان

وأكد حاتم السعدي رئيس جمعية حقوق الانسان ان ما مر على مدينة حلبجة هو نكبة كبيرة في كل المقاييس، كما أنها تشكل خرق لمبادئ حقوق الإنسان ووصمة عار في جبين النظام السابق عندما اقدم على ضرب اشخاص عزل باسلحة محرمة دوليا، ومن الغريب ان نرى ان الدول الاقليمية والدول العربية لم تستنكر تلك الجريمة، كما لم تشجب ايضا اية منظمة دولية تلك الجريمة التي تمت واودت بحياة الآلاف من البشر ما عدا منظمة وحيدة،هي منظمة العفو الدولية التي اصدرت بيانا شجبت فيه الجريمة، بل الغريب انه حتى منظمة الصليب الأحمر الدولية لم تتحدث او تشجب تلك الحادثة المؤلمة، في حين انها و بعد حرب الخليج الثانية وعند غزو الكويت ركزت على موضوعات المفقودين وغيرها من القضايا التي لها صلة بمبادئ حقوق الإنسان وتجاهلت حلبجة.

ويشير الى انه كان في اقليم كردستان اثناء قصف المدينة حيث كان في جبهة (جود) التي تضم كل من الحزب الشيوعي العراقي والحزب الديمقراطي الكردستاني والحركة الاشتراكية، وكان القصف قد استمر لمدة ثلاثة ايام، وقد سمحت القوات الايرانية التي كانت تتواجد على الحدود بدخول الصحافة والقنوات الفضائية وذلك عن طريق الجبال الوعرة لتصوير تلك المأساة الانسانية. ويوضح السعدي ان احداث حلبجة قد مهدت الطريق امام تشكيل جمعية حقوق الانسان العراقية التي نأمل ان توفق في اداء واجبها في مجال حقوق الانسان.

مطلوب جهد دولي اكبر لمحاسبة الشركات التي زودت النظام المباد بالسموم

صور حية يرويها بعض الناجين عن وحشية منفذي الجريمة